العملية رقم «٩» لنويل نصر في هنغار «أمم»

حرب أخرى في أحشائنا

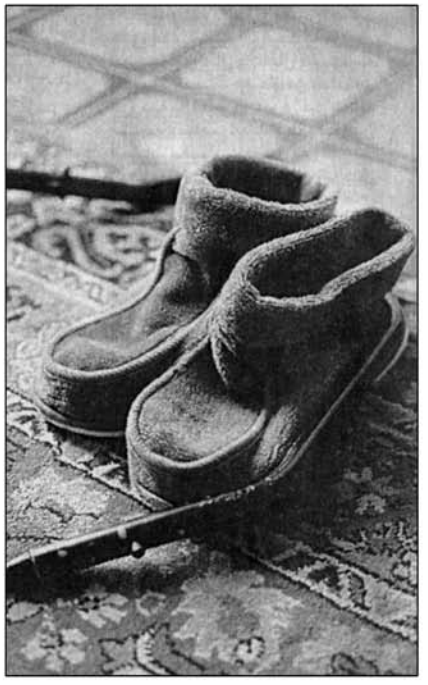

أن تدعى الى معرض صور لفنان ما، فهذا أمر عادي. فالمدعو يتوقع أن يذهب الى صالة، إن لم تكن فخمة فهي لامعة بالاضاءة، تعرض فيها مجموعات من الصور بطريقة هندسية فنية تبرز مواضيعها. تجول في ذاك المعرض وأنت تنظر الى اللوحات والصور التي تجسد أشياء أو أشخاصاً في أشكال فريدة. بعض هذه الصور يعلق في ذهنك، والاحتمال الاكبر ان لا شيء منها يبقى في ذاكرتك. وذلك لكثرة الصور التي يراها الانسان في حياته اليومية على شاشات التلفزة والمجلات والصحف، وحتى على الطرقات.

هذا ما لا تجده في «العملية رقم ٩»، معرض الصور للفنان الشاب نويل نصر، بدءاً من المكان (المعرض) وانتهاء بطريقة العرض.

أول ما يصادف الزائر الذي يقصد المعرض هو الدخول عبر بوابة حديدية حيث تقابله جدران لمبنى «الهنغار» في حي شعبي من حارة حريك، في الضاحية الجنوبية لبيروت. تملأ تلك الجدران شعارات وطنية، ان جاز التعبير، ومذهبية مؤيدة لأحد الزعماء السياسيين في البلاد، وتشتم آخر حتى لتوحي بأن حرباً قائمة وفوضى سارية في المكان.

تفاجأ عند دخول الهنغار بالفراغ الساكن والثقيل: إضاءة خافتة وستائر سوداء من جهة، ومن جهتها الاخرى ستائر قرميدية اللون تخلو من حركة الحياة. وكأن الموت زار المكان ورمى بردائه عليه قبل أن ينصرف. ويقابلك نويل بلباسه الاسود مضيفا نفحة من حداد أو حزن، قبل أن يشع مضيئا من خلال صوره المخفية وراء الستائر والتي تقسم المعرض الى أربعة أجزاء.

أقسام المعرض تستعرض فصولا من تجربة شخص مرت عليه الحرب في جسده ولما تنته بعد. ينحو القسم الاول نحو الضبابية ويعرض تسع صور مأخوذة بطريقة إعلانية تموّه الحقيقة وتغلفها بألوان زاهية وأبعاد مضيئة، داخل علب من الزجاج، يتسمر المشاهد أمامها محاولا تفسيرها وفهم محتواها. أما القسم الثاني فيعيد تشكيل الحقيقة المأساة من خلال فيلم قصير يضم مجموعة صور أكثر واقعية وحدة. وقتها فقط تستطيع أن ترى الصورة بوضوح.

بين القسمين الاول والثاني علاقة وطيدة تنسج مع العين تجربة خاصة تقترب أو تبتعد من التجربة الشخصية لنويل نصر. نصر، المولود في حارة حريك في السنوات الاولى للحرب اللبنانية واضطر أن يهجرها خلال الاجتياح الاسرائيلي في العام ١٩٨٢ وهو في سنه الرابعة، نشأ في منطقة بعبدا، وترعرع في جزء من الوطن الذي قسمته الاديان والمذاهب حينها. لكن نويل عاد الى مسقط رأسه الذي لا يعرفه إلا من خلال ذكريات أهله وقصصهم، ليقيم أول معرض خاص له.

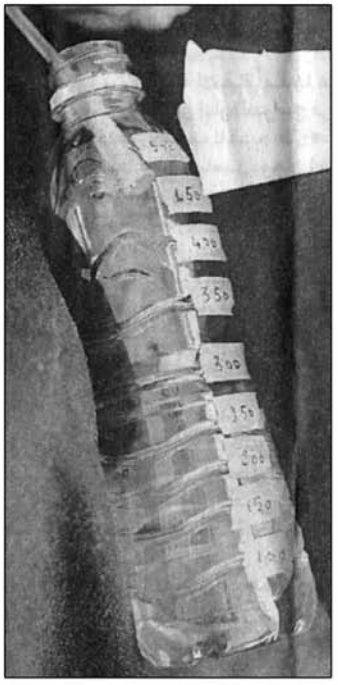

قصة سيدة

«العملية رقم ٩» يروي قصة سيدة أصابتها شظية في العمود الفقري في سنة ١٩٨٤، ويسرد معاناتها مع المرض ومحاولة معالجته حتى هذه الساعة، بوسيلة تجسد «صراع بطل الحرب» بحيث تؤثر في المشاهد دون أن تترك عنده إحساساً بالشفقة لهذا البطل المناضل لأجل الحياة. ويأبى نويل أن يفصح عن هوية تلك السيدة وعلاقته بها أو قرابته لها.

تنتقل الى القسم الثالث الذي يكّون متحفاً صغيراً يضم صورة لتلك السيدة تقف في ما يشبه الحديقة في يوم شتاء دافئ (يقول نويل انها آخر صورة أخذت لها قبل إصابتها!)، ويحوي الى جانب الصورة التي فقدت ألوانها، الشظية الاثر من تلك الحرب مثبتاً واقعية روايته. ثم يختم نويل معرضه الاشبه بالمتاهة بلوحة معلقة في الفراغ الاسود مسجلا فيها فلسفته تجاه الحرب والانسان.

يقول نويل، «ان الحرب تبدأ حين نظن انها انتهت... ولكن حربا من نوع آخر تبدأ بطريقة مخفية، بعيدا عن الصورة التي يبرزها الاعلام للعامة، حربا تعيش في أجزاء حميمة في عمق أحشائنا بحيث يصعب على الاعلام ملاحظتها».

ينظر نويل الى جمهوره الداخل الى المكان (شبان من المنطقة يدفعهم الفضول حين يرون الملصقات الاعلانية في الخارج) فينظر اليهم وكأنه يحاول البحث عن الانتماء اليهم والى الحي. لكنه ينتظر خروجهم ليحادثهم بابتسامة تزول سريعا عن وجهه. هنا سألته عن شعوره فأجاب، «لا أفقد الامان هنا، ولكني لا أشعر به».

وفاء عيسى

(*) يستمر المعرض حتى ٩ نيسان، يوميا بين الرابعة من بعد الظهر والتاسعة مساء.